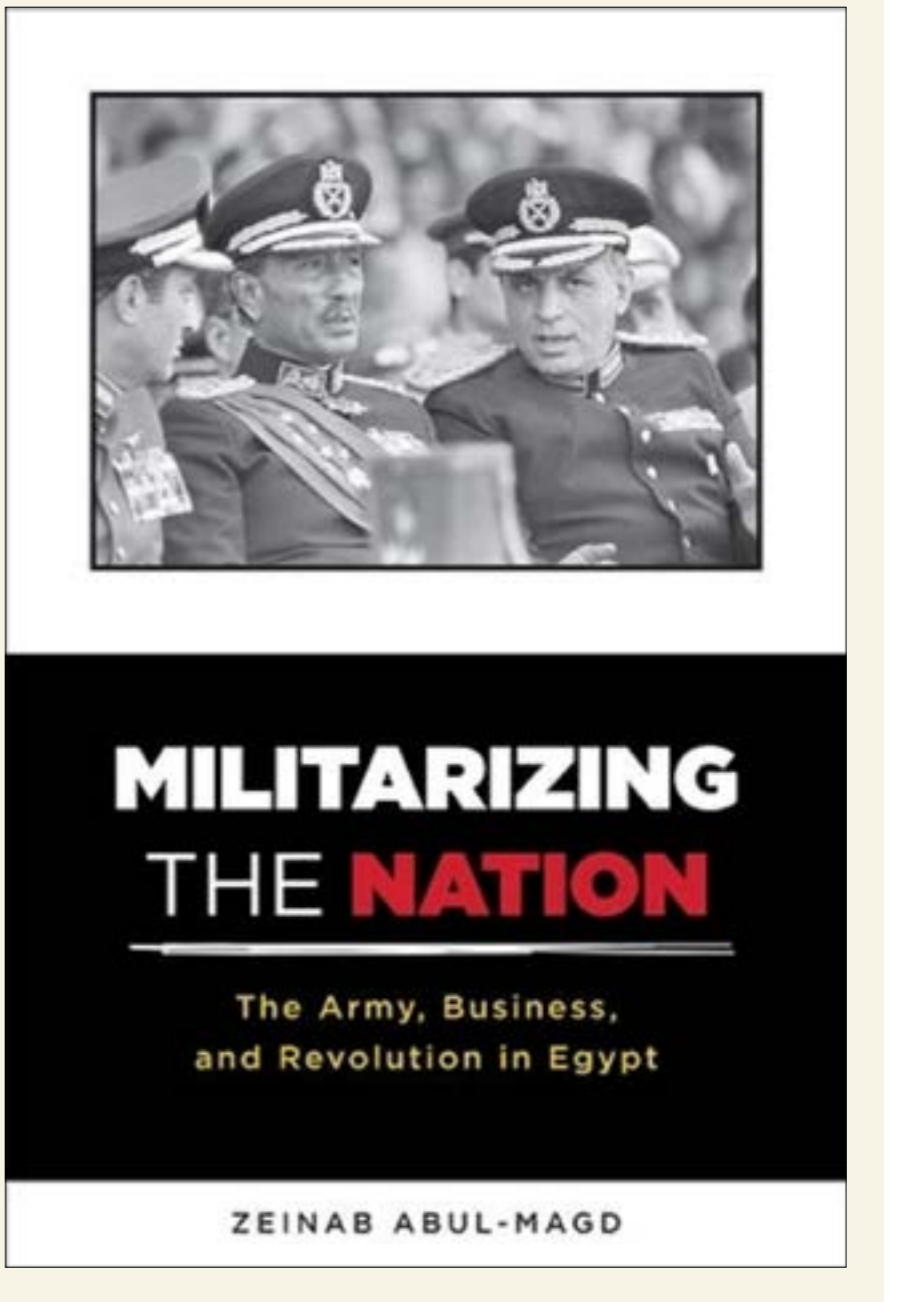


بَحْث

القوات المسلّحة المصرية.. عسكرة المجتمع

سبق لنا ان تناولنا موضوع دور القوات المسلحة المصرية (وفي الأردن والسودان) في اقتصادات تلك الدول عند استعراضنا مؤلف «رجال أعمال بدلات عسكرية» (الأخبار /06/22/2017). زينب أبو الجد الأستاذة المساعدة في تاريخ الشرق الأوسط في «أوبلرين كوليدج»، تعود للموضوع نفسه في كتابها «عسكرة الأمة - الجيش والتجارة والثورة في مصر» (مشتورات جامعة كولومبيا . 2017)، لكن بفاصيل دقيقة وتحليلات نافذة تعتمد على مختلف المراجع الأولية والثانوية والقياسية وغير القياسية المتوافرة وذات الصلة. توضح كيفية تمكّن القوات المسلحة المصرية من التكيف مع التغيرات العديدة التي مرت بمصر منذ الانقلاب العسكري الأول عام 1952، والذي استحال ثورة في السنوات اللاحقة حيث ارتبط العسكر بأحوال الفئات المعتمدة والفقرية وذات الدخل المحدود، وأصبح نظاماً اشتراكياً، منحها حقوقاً لم تحصل عليها قبلاً. مرحلة التغيير الثانية. وفق الكاتبة. هي مرحلة الانفتاح الساداتية التي ركزت على ثقافة الاستهلاك. المرحلة الثالثة هي مرحلة الخوض حسني مبارك التي انتقلت فيها مصر إلى مرحلة النيوليبرالية المتوحشة. مارست القوات المسلحة المصرية أنواراً قيادية في تلك المراحل، على مختلف الصعيد السياسي والاقتصادية والفكرية... لكن مدى هيمنة ثقافة عسكرة المجتمع (الأمة) ربما تتجلى على أفضل وجه في كلمات اللواء عصمت مراد مدير الكلية الحربية في معرض رده على سؤال داليا عثمان مراسلة صحيفة «المصري اليوم» بتاريخ 13 تموز 2017 «هل يؤهل طالب الخدمة للانضمام مباشرة للعمل ضمن صفوف القوات المسلحة؟» إذ أجاب: «خلال أيام تخرج الكلية الحربية، يعي الطالب كيف يفرق بين الإنسانية والمودة وبين العمل والانزواء، وميله مثل باقي مئة ألف مقاتل يخرجوا في الكلية الحربية على مدار 40 عاماً، المجتمع يجتهد ويغفد التعليمات، فطال الكلية الحربية بمرغوب أنهم قادة المستقبل، هم الوزراء، المحافظون، السفراء، رؤساء الجمهورية، المديرين، بفضل تضحياتهم وعملهم الجاد - التشديد ضفاف». أوردت الكاتبة النص مترجمة إلى الإنكليزية، واقتست نصه للعربي الأصلي من موقع الصحيفة وتعلق على تصريح اللواء بالقول: «لكن في الوقت الحالي، فإن الجنرال ربما فعلاً قادة البلاد». إضافة إلى رئيس البلاد، المشير عبد الفتاح السيسي الذي كان وزيراً للدفاع، فإن مجموعة من الألقاب أو الجنرالات يقودون مختلف المؤسسات الوطنية ومنها قناة السويس والمرافئ البحرية وهيئات الدولة في مجالات الزراعة والإسكان والتجارة الخارجية والاتصالات وغير ذلك. كما أن بعض الجنرالات المتقاعدين يديرون شركات حكومية مثل هيئات المياه والصرف الصحي والإنترنت والاستصلاح الزراعي...

-



-

كلمات

الأعمال العسكريةين، أو ما تطلق عليه اسم «ضباط نيوليبراليين» يهيمنون على المجتمع عبر السيطرة على نقطة الإختراف الرئيسة الأخرى التعلق بالعقيدة. بينما كانت عقيدة القوات المسلحة الأولى ذات هوية قومية عربية واشتراكية ومرتبطة بالأمور الإقليمية، فإن عقيدة القوات المسلحة المصرية الحالية ضيقة تركز على العصبية (patriotism) المصرية والأمور الداخلية. تتمتع الكاتبة هذا الانقطاع وولادة الضباط النيوليبراليين الذين يميزون بتركز نقل في رسم سياسات البلاد. ولادة هؤلاء الضباط النيوليبراليين، تمت عند تحويل مصر إلى دولة رأسمالية نيوليبرالية تحت حكم الخلوع حسني مبارك. تؤكّد الكاتبة أن هؤلاء الضباط ليسوا بالضرورة مؤمنين بعمداً عند انتهاء الحرب الباردة، عندما لم يتسنّ للقوات المسلحة في مختلف أنحاء العالم الاختيار بين دول عظمى، اختارت الشطاعين العام والخاص لكن أولئك الضباط يستفيدون من انفتاح السوق لتحقيق مكاسب شخصية ومؤسسية.

-

لأنها استمرت في مجال بحثها في هيمنة القوات المسلحة المصرية على المجتمع والبلاد، تطرح المؤلفة أربعة موضوعات رئيسة. الموضوع الأول هو أن مؤسسات القوات التي توفر للمواطن خدمات أساسية مثل مياه الشفة وشبكات الصرف الصحي التجنيد الإيجاري الذي حصل في ثمانينات القرن الماضي بولادة قوات مسلحة جديدة هي التي تحكم مصر في أيامنا هذه. والاختلافات بين القوات المسلحة الجوهري الأول حصل في ثمانينات السابعة والحالية نجدها في تكوينها الاقتصادي-الاجتماعي وعقيدتها، وكيفية عسكرتها المجتمع. بينما كان قادة القوات المسلحة المصرية السابقون ينتمون للطبقة الوسطى الذين صنعوا في ظل نجح مترفة حاكمة ومجتمع عسكرة أو محيش، عبر الحروب والإشترائية، فإن القوات المسلحة الحالية تسيطر عليها مجموعة من مديري تكووقراط، فإن أولئك الجنرالات كانوا من أعلامها، كاتبة، لا يمكن أن يفهمنا ذلك إلا من خلال فهمنا كيف يفرق بين الإنسانية والمودة وبين العمل والانزواء، وميله مثل باقي مئة ألف مقاتل يخرجوا في الكلية الحربية على مدار 40 عاماً، المجتمع يجتهد ويغفد التعليمات، فطال الكلية الحربية بمرغوب أنهم قادة المستقبل، هم الوزراء، المحافظون، السفراء، رؤساء الجمهورية، المديرين، بفضل تضحياتهم وعملهم الجاد - التشديد ضفاف». أوردت الكاتبة النص مترجمة إلى الإنكليزية، واقتست نصه للعربي الأصلي من موقع الصحيفة وتعلق على تصريح اللواء بالقول: «لكن في الوقت الحالي، فإن الجنرال ربما فعلاً قادة البلاد». إضافة إلى رئيس البلاد، المشير عبد الفتاح السيسي الذي كان وزيراً للدفاع، فإن مجموعة من الألقاب أو الجنرالات يقودون مختلف المؤسسات الوطنية ومنها قناة السويس والمرافئ البحرية وهيئات الدولة في مجالات الزراعة والإسكان والتجارة الخارجية والاتصالات وغير ذلك. كما أن بعض الجنرالات المتقاعدين يديرون شركات حكومية مثل هيئات المياه والصرف الصحي والإنترنت والاستصلاح الزراعي...

-

-

-

-

-

-

-

-

-

-

-

-

-

-

-

-

-

-

-

-

كلمات

ممارسة أعمالها. تضيف الكاتبة أن القوات المسلحة المصرية، الأميركية التدريب، تعمل على طرد عدد كبير من الضباط المخولين برتبة عقيد وعميد بوصول أعمارهم إلى الأربعين، والهدف هو الحفاظ على البناء الهرمي للمؤسسات العسكرية. وهي لا تسمح بترقية إلا أعداد محدودة من العقداء والعمداء إلى رتب أعلى، والذين بدورهم يتم تحويلهم للقاعد وعلملي وتغيروا مع تغير السياقين. فالقوات المسلحة جاءت إلى السلطة بوصول جنود ورائين تقاعدية عالية، إضافة إلى معاشاتهم من المؤسسات المدنية. أما التعيينات، فتمت وفق الرتبة العسكرية الأخيرة والولاء».

أما عدد أفراد القوات المسلحة فهو كبير، يضم في أن خريجي جامعات وطلاب مدارس والأميين. الآخرين يتم تحويلهم إلى وزارة الداخلية للعمل ققوات مكافحة الشغب، ويعاونون أحوال عمل غاية في السوء، ما كان سبباً في انتقاصتهم عام 1986. وقد أثرت الكاتبة مؤلفها المهم بجدوال أحدها خصصته لأحجام القوات المسلحة (الجيش والبحرية والقوات الجوية وقوات الدفاع الجوي والاحتياط) من عام 1965 إلى عام 2015 حيث بلغت اعدادهم: الجيش 310000، والبحرية 18500، والقوات الجوية 30000، والدفاعات الجوية 80000. أما أعداد الاحتياط فبلغ 479000 فرد موزعين على فروع القوات المسلحة الأربعة.

كذلك استخدمت القوات المسلحة المصرية الجندين كعمال سخرة أو باجور زهيدة، وتضيف إن «عبد الحليم أبو غزالة وزير الدفاع المصري في ثمانينات القرن الماضي عمل على استخدام الجندين الأميين غير الصالحين جسدياً وثقافياً وتقنياً ونفسياً للخدمة العسكرية عمال سخرة في النشاطات التجارية مثل العمل في الحقول أو المخابز، ما قاد إلى نقد البعض هذه الممارسة ووصفها بأنه عبودية (slave labour)».

من الأسئلة الأكثر إلحاحاً التي تطرح على نجو دائم: ما حجم أعمال القوات المسلحة وما مقدار أرباحها السنوية مقارنة بدخل الدولة السوري؟

تجيب الكاتبة على جانب من الأسئلة، فإن مؤسسات القوات المسلحة المصرية قد حولت المجتمع ومحيطه، إلى معسكر دائم، حيث يخضع كل مواطن لعين الضباط العلنية والخفية. ويتسوق ذلك كله بالجهة إلى ضمان الأمن وحماية الأمة، يوماً وفق الكاتبة.

هذه المقدمة المهمة لهذا العرض، تقودنا إلى محتوى المؤلف. تستعرض الكاتبة نقاطاً ثلاثاً مهمة في «المقدمة» ألاهما توصيف مؤسسات القوات المسلحة المصرية وتاريخها، وسنعرض هذه النقاط الثلاثة في الأقسام «والسيف» و«والسيف» و«التقصي» مع بعض ما وصلت إليه الكاتبة من استنتاجات.

(ا) التوصيف:

مؤسسة القوات المسلحة المصرية جيش وبنيتها في مرحلة ما بعد الاستعمار وخبراته عندما عقيدية والحروب التي خاضها في القرن العشرين. وتقول الكاتبة إن حجم القوات المسلحة أكبر مما يجب بمراحل كثيرة، ويفرض الخدمة العسكرية على مئات الآف الشباب المصري، ويتمتع بميزانية ضخمة ويعتق خطاباً عصبياً متطرفاً في عقيدته (ultra nationalist rhetoric) ويدير جهاز دعاية دامية (sophisticated) بهدف عسكرة المجتمع. أما تدريب القوات المسلحة، فيركز على الحروب النظامية، ويمتلك صناعة عسكرية كبيرة يذهب بنتائجها للاستهلاك المحلي وللتصدير. كما لها القوات المسلحة إمبراطورية أعمال (business) لا يمكن التكهن بحجمها وأرباحها، وتهيمن على بيروقراطية الدولة التي تسهل لها

النقطة الثانية هو سياقيتها

-

-

-

سياسة



غريغ كارلستروم: هذا عمر إسرائيل

في الوقت الذي تتمسك قيادة ميليشيات رام الله باتفاقيات «وعد بوعد بوعد»، مع العدو الصهيوني، وتواصل التمسك بوهم أن تلك الاتفاقيات، بما فيها التنسيق الاستخباراتي مع العدو الصهيوني ضد المقاومة الفلسطينية وصولها إلى القاع الذي لا قاع له، هي السبيل الوحيد لتحقيق أهدافها المعلنة، فإن العالم كله على قناعة باستحالة تحقيق ذلك، وأن جماعة رام الله اختارت لأسباب فعبية العيش في وهم والتعويض الطبقات الفئات الاجتماعية.

وفي الوقت الذي تجرّؤ فيه أنظمة التخلف والخيانة والمتصهنية الاعرابية مثل ملكة بني سعود وبني نهيان في الإمارات المتصارعة وبني حمد في قطر، وغيرها من الدول العربية، على مناققة العدو الصهيوني، ومحاولة جعل وجوده في بلادنا، أمراً طبيعياً بل مطلوباً، فإن كثيراً من قوى التحرر والعدالة في العالم تزيد من إدانته له بل ومقاطعته. ف«عندما أمر السيسي بسحب مصر مشروع قرار المجلس الثامن بدين مستوطنات العدو الصهيوني، باصر من ترأسها، فقرّت أربع دول غير عربية هي نيوزيلندا وماليزيا وفنزويلا والسنتغال، وتبنت المشروع الذي اقّرّ بـ 14 صوتاً، بينما قررت إدارة أوباما الامتناع عن التصويت»، ما منحه شرعية دولية. أما دولة جنوب أفريقيا وقبائتها الصديقة للشعب الفلسطيني ولقضايا التحرر في العالم، فقد استدعت سفيراها احتجاجاً على وحشية عسكر الصهيينة ضد المتظاهرين الفلسطينيين.

لملخص القول إن كيان العدو الصهيوني - رغم المكانة الاقتصادية التي يتمتع بها، بفضل مساعدات واشنطن، واستغلالها للأرض الفلسطينية واتساع سياسة التفريق العنصري - يجد نفسه محاصراً أكثر من أي وقت فالشرعية التي اكتسبها، عقب فطائع النازيين، بين شعوب أوروبا في الخمسينيات والستينيات، بدأت بالتآثر من الستينيات، في تطور مواز لانتقال المجتمع الإسكتناري والسفاردي نحو أقصى درجات التطرف العيني.

غريغ كارلستروم الكاتب الإنكليزي المقيم في تل أبيب أصدر أخيراً «ما عمر إسرائيل - الخطر من الداخل» (مشتورات جامعة أوكسفورد 2017). المؤلف كان مراسلاً لصحيفة «تايمز» اللندنية ومجلتي «ايفونوميست» الإنكليزية و«نيويورك» الأميركية. عمل سابقاً مراسلاً لقناة «الجزيرة» الإنكليزية، وهو متعاطف عضوي مع كيان العدو حيث يصفه بالديمقراطية وما إلى ذلك من اللغو السمج المستهلك. هو يرى أن استمرار ميل المجتمع في كيان العدو نحو اليمين المتطرف، وقسمه إلى قبائل (tribes) أو معسكرات مختلفة، ومتناحرة، يشكل خطورة على الكيان، وينذر بحرب أهلية، أي إن استمر ذلك فسؤذي إلى انهيار الدولة وتحللها.

يحدد الكاتب عوامل عدة تهدد مستقبل كيان العدو ومنها سياسات المواجهة واحتلال ما يسمى «الضفة الغربية» التي تضم سكانها 2 مليوناً، إضافة إلى الشق القائم حالياً بين الإسكتنار والسفارديم والحريديم، وبينهم من جهة، والفلسطينيين من جهة أخرى. يتسند المؤلف على حقيقة الانقسام العضوي بين مختلف مجتمعات كيان العدو، إضافة إلى الانقسامات السياسية غير القابلة للردم في المستقبل المنظور. كما يشير إلى عامل الانقسامات الاقتصادية والثقافية الهائلة بين الطبقات الفئات الاجتماعية.

وقد كان من شأنه أن يلفت الانتباه إلى أن تلك الكيانات الأوروبية ليست مهددة وجودياً، على عكس كيان العدو.

يقول الكاتب إن النزوع الغربي إلى اليمين مؤقّت، وإن الأجيال الأوروبية الجديدة تميل إلى أن تكون اجتماعية-ليبرالية، فإن رديفها في كيان العدو محافظ مع نزوع لليمين المتطرف مع تميز لامتلاك قوة توسع وتوسيع أراضي الدولة الإسكتنارية، كما يتجلى ذلك في حركة الاستيطان. مؤلف مفيد للاطلاع على بنية كيان العدو بحوي تفصيلات كثيرة، مع الحذر من الأحكام المتعاطفة مع الصهيونية وكيانها العنصري.

-